﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ [النّحل: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بالماء تحيا الأرضُ بعد مَوات، ويُدرَك خيرُها بعد فوات

لمّا ذكر الله تعالى في الآية السّابقة - من جملة النِّعم - أمرَ إنزالِه الماء من السَّماء، ثم بَيَّن أنّه تعالى جعل هذا الماء شرابًا للنّاس ولكلِّ الكائنات، وأنَّه الأساس في إنبات الشَّجر والكلأ، عندما يخالط الأرضَ فتحيا به بعد مَوات، ويُدرَك خيرُها بعد فوات، ثمَّ لمّا كان الشَّجرُ الخارج من الأرض أنواعًا وأصنافًا، فصَّل منه سبحانه في هذه الآية بعض الأنواع بالذِّكر، لتكون عنوانَ الدَّليل على الخير الجزيلِ الَّذي أفاض اللهُ به على عباده في إخراج النَّبات، كما فصَّل من قبلُ نِعَمَه عليهم في إمدادِهم بأنواع الحيوانات، وأيضًا كما رتَّبها هناك على حسب الأهمِّيّة، رتَّب ما هنا كذلك على حسب رُتَبِ الأهمِّيّة، ولمّا أجمل هنالك بعد تفصيلٍ فقال: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أجمل هنا كذلك بعد تفصيلٍ فقال: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ ليكون المذكورُ تفصيلًا هنا وهناك ما هو إلا عنوانًا لدليل، وأمثلةً لتفصيل، لا يتحمَّل المقام إحصاءَها، وما ذكر منها يغْني العاقلَ، ويوقِظ الغافل.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُنۢبِتُ﴾: أصلُ (نبت) يَدُلُّ عَلَى نَماءٍ في مَزْروعٍ، ثُمَّ يُسْتَعارُ، فالنَّبْتُ مَعْروفٌ، يُقالُ: نَبَتَ، وأنْبَتَتِ الأرْضُ، ونَبَّتُّ الشَّجَرَ: غَرَسْتُهُ[1]، والنَّباتُ: ما يخرج من الأرض من النّاميات، سواءٌ أكان له ساق كالشَّجر، أو لم يكن له ساق كالنَّجْم، لكن اختَصَّ في التَّعارُف بما

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نبت).

لا ساقَ له، بل قد اختصَّ عند العامَّة بما يأكله الحيوانُ، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥﴾ [النَّبأ: 15]، ومتى اعتُبرت الحقائقُ فإنَّه يُستعمل في كلِّ نامٍ، نباتًا كان أو حيوانًا، أو إنسانًا، والإنْباتُ يُستعمل في كلِّ ذلك[1]، والمُراد به في قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ﴾ خصوصُ إنْماءِ المزروع في الأرض.

2) ﴿ٱلزَّرۡعَ﴾: أصلُ (زرع) يَدُلُّ عَلَى تَنْمِيَةِ الشَّيْءِ[2]، يُقال: زَرَعَ اللهُ الحَرْثَ أنْبَتَهُ وأنْماهُ، وزَرَعَ الحَرّاثُ الأرْضَ زَرْعًا: حَرَثَها لِلزِّراعَةِ، والزَّرْعُ: طَرْحُ البَذْرِ في الأرْضِ، والزَّرْعُ ما استُنْبِتَ بِالبَذْرِ تَسْمِيَةً بِالمَصْدَرِ، ومِنْهُ يُقالُ: حَصَدْتُ الزَّرْعَ؛ أي: النَّباتَ، وقالَ بَعْضُهُم ولا يُسَمَّى زَرْعًا إلّا وهوَ غَضٌّ طَرِيٌّ[3]، وحقيقة الزَّرع تكون بالأمور الإلهيَّة دون البشريَّة، فلذلك أثبت للبشر الحرثَ، ونفى عنهم الزِّراعةَ، فإذا نَسَبَ إلى العبيد؛ فإنَّما ذلك من باب الإسناد إلى السَّبب، نحو: أنْبَتَ زيد زرعَه؛ أيْ: كان سببًا في إنباته[4].

3) ﴿ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾: أصل (ثمر) شَيْءٌ يَتَوَلَّدُ عَنْ شَيْءٍ مُتَجَمِّعًا، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ اسْتِعارَةً[5]، والثَّمَرات جمعُ ثمرةٍ واحدةُ الثَّمَرِ، وجمع الثَّمَرِ: ثِمارٌ، مثل: جبَل وجبال، قال الفرّاء: وجمع الثِّمارِ: ثُمُرٌ، مثل: كتاب وكتب، وجمع الثُّمُرِ: أثْمارٌ، مثل: عُنق وأعناق، ويقال: أثْمَرَ الشَّجَرُ؛ أيْ: طلع ثَمَرُهُ، وشجر ثامِرٌ، إذا أدرك ثَمَرُه، وشجرة ثَمراءُ؛ أيْ: ذات ثمر، وأثمر الرَّجلُ، إذا كثُرَ مالُه، وثَمَّرَ اللهُ مالَه؛ أيْ: كثَّرهُ[6].

والثَّمَرُ اسمٌ لكلِّ ما يُتطعَّم من أحمال الشَّجر وهو المُرادُ هنا، ويُقال لكلِّ نفعٍ يصدر عن شيءٍ: ثَمَرَة كقولك: ثمرةُ العلم العملُ الصّالح، وثمرةُ العمل الصّالح الجنَّة[7]، والمُراد في الآية ثمراتُ الأرض على اختلاف أصنافها وأنواعها.

(1) الرّاغب، المفردات: (نبت).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زرع).
(3) الفيوميُّ، المصباح المنير: (زرع).
(4) السَّمين الحلبيّ، عمدة الحُفاظ: (زرع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ثمر).
(6) الجوهريُّ، الصِّحاح: (ثمر).
(7) الرّاغب، المُفردات: (ثمر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من عجائب القدرة نزول الماء من السَّماء، ثمَّ إنبات الزَّرع والثَّمرات

ينْبِت لكم ربُّكم بهذا الماء الَّذي أنزله من السَّماء جميع الزَّرع الَّذي يشقُّ الأرض شقًّا مِمّا تراه أعينُكم، وينْبِت لكم به على وجْهِ الخصوص أهمَّ الثَّمرات الَّتي تعتمدون عليها في حياتكم؛ من الزَّيتون والنَّخيل والأعناب وغيرها، ومن كل الثَّمرات مِمّا لم يُذكر، ولم تعرفوه أيُّها المخاطَبون، ومع هذا فإنَّ كلَّ الثَّمرات لم تظهر لكم في الدُّنيا، وإنَّما أظْهَر الله لكم بعضَها على كثرة ما يُرى منها الآن، وأما كلُّها فلا يكون إلّا في الجنَّة الَّتي تنتظركم أيُّها المؤمنون المُتفكِّرون.

إنَّ في ذلك لحُجَّةً ظاهرة ودلالةً واضحة على وحدانيَّة الله وقدرته لقوم سجيَّتُهم التَّفكُّر في ظواهر الكون وعجائبِ القدرة، ومنها تفكُّرهم في عجيبة نزول الماء من السَّماء، وقبل ذلك كيف يتكوَّن فيها بعوامل التَّبخيرِ، ثمَّ التَّكثيف، ثمَّ النُّزول على الأرض، في دورات متكرِّرة وفْقَ نظامٍ دقيق قد خطَّه ونظَّمه ربُّ العالمين.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نكتة فصل جملة ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾:

أسباب وقوع الفصل في هذه الجملة، وأثره في المعنى

لاختيار الفصل في جملة ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ عن الجملة السّابقة أسباب:

الأوّلُ: حَملُها على الاستئناف البيانيِّ، جوابًا عن سؤال ناشئ من السِّياق بعد انتهاء الجملة السّابقة، تقديره: هل من منفعةٍ غيرُ ذلك[1] لإنزال الماء من السَّماء؟ أو أنَّ منفعتَه محصورةٌ فيما ذكر؟ فكان الجوابُ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾، وبذا يتحقَّق (شِبْهُ كمال الاتِّصال).

الثّاني: أن يكون قولُه: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ صفةً أخرى لـ ﴿مَآءً﴾، فيتحقَّق (كمال الاتِّصال).

(1) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 5/ 314، والجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 4/ 210.

الثّالث: أنَّ جملة ﴿يُنۢبِتُ﴾ حالٌ من ضمير ﴿أَنزَلَ﴾؛ أيْ: يُنبت الله لكم.

ومن مُسوِّغات فصل هذه الجملة الحاليَّة أنَّ فعلها مضارعٌ مُثْبَت، وكونُها كذلك من الحالات الّتي تُفْصَلُ فيها الجملةُ الحاليَّة[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف: 16] فقوله: ﴿يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف: 16] جملة حاليَّة فعلُها مضارع مثْبَت، ولذا تمَّ فصلُها.

الرّابعُ: ويُضاف إلى ما سلف ذِكرُه من أسبابٍ، وجودُ عائقٍ من جهة المعنى، يمنع عطفَها على جملة ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾؛ لأنّ الإنبات ليس مِمّا يحصل بنزول الماء وحدَه، بل لا بدَّ معه من زرعٍ وغرس[2].

بلاغة توجيه القراءات في ﴿يُنۢبِتُ﴾:

الالـتـفـاتُ إلى المتكلّم للفت النظر إلى المنعِم

في قوله ﴿يُنۢبِتُ﴾ قراءتان: فقد قَرَأ أبو بكر عن عاصم ﴿نُنۢبِتُ﴾ بالنُّون الدّالَّة على التَّعظيم، وقرأ العامَّة بالياء ﴿يُنۢبِتُ﴾ على معنى: ينبت الله لكم[3]، أخبر به عن الله ﷻ لتقدُّم اسمه في أول الكلام[4] وإجراء للكلام على طريقة واحدةٍ، فكلُّ ما سبق من الآيات كان على صيغة الغيبة (ينزل، خلق، يخلق، أنزل).

وعلى قراءة ﴿نُنۢبِتُ﴾ ففي الكلام التفاتٌ من الغيْبة إلى التَّكلّم، وفضلًا عمّا يُحْدِثُه الالتفات من تَطْرِيَةٍ للكلام، فإنَّه هنا يلْفِتُ النَّظر إلى عظمة المُنعِم، الَّذي جاد بكلِّ هذه النِّعم على مَن شكرها ومَن لم يشكرْها أيضًا، فمَن أوْلى بالإيمان به وعبادته من هذا الإلهِ المُنعم؟

دلالة التَّعبير بـ﴿يُنۢبِتُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

مضى أنَّ مادَّة الإنبات تدلُّ على نماء المزروع، فالله ﷻ هو الَّذي

(1) الجُرجانيُّ، دلائل الإعجاز، ص: 204، والهاشميُّ، جواهر البلاغة، ص: 188.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 114.
(3) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 83.
(4) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص 209.

يُنمِّيه، والتَّعبير بالمضارع دالٌّ على الاستمرار والتَّجدُّد، فالله تعالى - فضلًا منه - لا يتوقَّف عن إنبات الزُّروع؛ لأنَّها حاجةٌ لمواصلة الحياة، أو أنَّه صِيغ مضارعًا؛ لأنَّه مستقْبَلٌ بالنِّسبة لـ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[1].

معنى اللّام في: ﴿لَكُم﴾:

التَّنبيهُ والتَّحذير إلى تخصيص النِّعمة بهم وكأنَّها لهم وحدَهم

الجارُّ والمجرور مُتعلِّقٌ بـ ﴿يُنۢبِتُ﴾، واللّام في قوله تعالى: ﴿لَكُم﴾ هي لامُ الاختصاص، وغَرَضُ التَّعبير به تذكيرُهم بنعمة الله عليهم، حتّى لكأنَّهم وحدَهم مخصوصون بها.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿لَكُم﴾:

التَّقديم لاهتمام والاختصاص، ذو أهميَّة في السِّياق

وفي تقديم شِبْهِ الجملة ﴿لَكُم﴾ على المفعول وما عُطف عليه ﴿ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ﴾ دلالةٌ على الاهتمام والاختصاص، وفائدتُه لَفْتُ نظرهم إلى هذه النِّعمِ العظيمة والآلاء الجسيمة التي أنعم الله عليهم بها.

معنى الباء في شبه الجملة: ﴿بِهِ﴾:

في قوله ﷻ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ نجد أنَّ الباء للسَّببية، وهي الباء الداخلة على سبب الفعل وعلَّته التي من أجلها حصل؛ أيْ: بسببه، مع ملازمة الإلصاق والملابَسة للباء.

عود الضَّمير في ﴿بِهِ﴾:

في قوله ﷻ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ نجد أنَّ الضَّمير في ﴿بِهِ﴾ يعود إلى الماء، في قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿بِهِ﴾:

التَّنبيه على أهمِّيّة الماء في الإنبات والزُّروع

الجارُّ والمجرور ﴿بِهِ﴾ مُتعلِّق بـ ﴿يُنۢبِتُ﴾، وفي تقديمه على المفعول

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 231.

ومعطوفاتِه، التَّذكيرُ بهذه النِّعمة ولَفْتُ الأنظارِ إليها إن غَفَلَت عنها حينًا، وهي نعمةُ إنزالِ الماء، ذي المنافعِ الكثيرة، ومن بينها كونُه سببًا في إنبات الزُّروع، وإخراج الثِّمار.

معنى (أل) في كلّ لفظ مبدوء به في الآية:

كلُّ نوع من المذكورات جنسٌ قائم بذاته من الثِّمار والنَّباتات

في قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ نجد أن (أل) في كلٍّ من: ﴿ٱلزَّرۡعَ﴾ و﴿وَٱلزَّيۡتُونَ﴾ و﴿وَٱلنَّخِيلَ﴾ و﴿وَٱلۡأَعۡنَٰبَ﴾ و﴿ٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ هي للجنس في كلِّ مفردَةٍ منها؛ أيْ تستغرق كلَّ أفراد هذه الأنواعِ.

نكتة العطف على ﴿ٱلزَّرۡعَ﴾:

عطف الخاصِّ على العامِّ، لبيان أهمِّيّة الخاصِّ

عطف ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ﴾ على ﴿ٱلزَّرۡعَ﴾، هو من باب عطف الخاصِّ على العامِّ، لبيان أهمِّيّة الخاصِّ، فكلُّ نوع مِمّا ذُكر لا تخفى فوائدُه ومنافعه كثيرةٌ، وحاجة النّاس إليه ماسَّة.

فائدة التَّرتيب بين ﴿ٱلزَّرۡعَ﴾ وما عُطف عليه:

مدار التَّرتيب بين الأصناف المذكورة على الأهمِّيّة

التَّرتيب بين كلٍّ من: ﴿ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ﴾، مَدارُه على الأهمِّيّة، وهو نَهْجُ السّورة، كما مضى في ترتيب الحيوانات الَّتي ذُكرت مفصَّلةً، وقد قدَّم الزَّرع لدعوى الضَّرورة العامَّة إليه، وعموم الحاجة إليه من الإنسان والحيوان، وقدَّم الزَّيتون على التَّمر؛ لأنَّه يوقَد به فهو تكميلٌ للقوت، والتَّمر مما يُتَفَكَّهُ به فهو ترتيبيٌّ، فكان أدْوَنَ لأنَّه زائد على القوت، وقدَّم التَّمر على العنب؛ لأنَّ الخطاب لأهلِ الحجازِ وليس بأرضهم إلا التَّمر، فهو عندهم أشرفُ من العنب[1].

ويُمكن أن يُقال كذلك: إنَّ الغذاء النَّباتيَّ قسمان: حبوبٌ، وفواكه، أمّا الحبوب فإليها الإشارةُ بلفظ الزَّرع، وأمّا الفواكهُ فأشرفُها

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 9.

الزَّيتون، والنَّخيل، والأعناب، وبدأ بذِكْر الزَّيتون؛ لكونه فاكهةً من وجْهٍ وإدامًا من وجهٍ آخرَ، لكثرةِ ما فيه من الدُّهن ومنافعُ الأدْهان كثيرة، ثم ذكر النَّخيل وبعدها الأعناب أيضًا لكثرة فوائدهما، وكون النّاس يعتمدون عليهما اعتمادًا ملحوظًا أكثرَ من غيرهما[1].

دلالة عطف الثَّمرات على ما تقدَّمها في الآية:

عطف العامّ على الخاصّ، لإدخال ما لم ينصَّ عليه

قوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ فيه عطفُ ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ على ما تقدَّم ذِكْرُه مُفصَّلًا، وهو من عطف العامِّ على الخاصِّ[2]؛ للدَّلالة على ما لم يُنصَّ عليه منها تفصيلًا، وإدخالِه في جملة النِّعَم المذكورة، فإنَّ ما لم يُذكر من الثَّمرات أضعافٌ مضاعفة، ومع ذلك قيَّدها بـ (من) التَّبعيضيَّة، لِما سيأتي.

معنى (من):

الجنَّة كمالٌ يستوعب الثِّمار على الكمال

وحرف الجرّ (من) في قوله عزَّ من قائل: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ابتدائيَّة، ويُمكن أن تكون تبعيضيَّة، وفائدةُ التَّقييد بها، أنَّ كلَّ الثَّمرات لا تكون إلّا في الجنَّة، وأمّا في الدُّنيا، فبعضُها فحسب[3].

نكتة فصل الجملة في آخر الآية:

سرُّ الفصل هو كون الجملة مؤكِّدةً لمعنى ما قبلها

سرُّ الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، هو كون هذا التَّذييل مؤكِّدًا لِما مضى تفصيلُ أماراته، وهو كونُه سبحانه واهبَ النِّعم المستحقَّ للشُّكر والعبادة دون سواه، فيكون الفصلُ لكمال الاتِّصالِ بين هذه الجملة وما سبقها، ويُمكن أن يكون سببُ الفصل هو الاستئنافُ البيانيُّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: لماذا أنعم عليهم بهذه النِّعم؟

سرُّ توالي المؤكِّدات في الآية الكريمة:

كثرة المؤكِّدات لأهمّيّة الموكَّد عليه وإيقاظِ القلوب الغافلة

اشتمل هذا التَّذييل على عدد من المُؤكِّدات هدفُها قرعُ الآذان

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/ 181.
(2) الصّاويُّ، حاشية الصّاويِّ على الجلالَيْن: 2/ 284.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 11/ 118، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 232.

لإيقاظ القلوب والعقول، ولإفاقَتِها من داء الغفلة عن ربِّهم تعالت أسماؤه، الَّذي أغرقهم في النِّعم، ثمَّ هم يكفرونها ويكفرون باللّه، وهذه المُؤكِّدات هي: إنَّ التوكيديَّة، والجملة الاسميَّة، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدّالَّة على علوِّ المُشار إليه بها، وتقديم شِبْه الجملة ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾، ودخول اللّام على المبتدأ ﴿لَآيَةً﴾، والتَّعبير بالمضارع ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ للحثِّ على مواصلة التَّفكير وتكرُّره ليحصُل التَّذكّرُ والاعتبار.

نكتة تقديم شِبْه الجملة ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

الإشارة مفيدة للاهتمام والقصر

في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قُدِّم شِبْه الجملة ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ للاهتمام وإفادةِ القصر؛ أي: في هذه الآياتِ دون غيرها ما يدفعهم للتَّفكُّر في بديع خلق اللّه الّذي أحسن كلَّ شيء خلقه.

معنى اللّام في ﴿لَآيَةً﴾:

توكيد اللَّفظ إيحاء بأهمِّيّته

بعدما ذكَرَ اللّه تعالى الثَّمَراتِ المُنْتَفَع بِها أعقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ وقد جاءت اللّام في قوله: ﴿لَآيَةً﴾ لام ابتداء، وهي اللّام الَّتي تدخل على المبتدأ وتُفيد التَّوكيد، وفي ذلك إيحاء بأهمية الآية.

دلالة إفراد ﴿لَآيَةً﴾:

بيان الدَّلالة على وحدة المدلول

أُفرد لفظ ﴿لَآيَةً﴾، ولم يأتِ مجموعًا (لآياتٍ) للدَّلالة على وحدة المَدْلول وهو اللّه تعالى[1]، وقيل: لِوحدة المُحَدَّث عنه، وهو الماء كما قال تعالى في آية ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الرَّعد: 4][2].

نكتة تنكير لفظ ﴿لَآيَةً﴾:

في آية اللّه تعظيم وتوحيد لجلاله

نُكِّر لفظ ﴿لَآيَةً﴾ تفخيمًا وتعظيمًا، وذلك لأهمِّيَّة ما تدلُّ عليه، وهو الدَّلالة على توحيد واهب النِّعم ﷻ، الذي خلق كلَّ شيء وقدَّره تقديرًا.

(1) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 4/ 210.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 11/ 119.

معنى اللّام في شبه الجملة ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

تعليل ما ذُكر في السّياق من أنّ وجود الآية لِمَن لهم فكر

اللّام الدّاخلة على لفظ (قوم) في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هي لام التّعليل، أيْ: لأجل (قوم يتفكّرون)، قال الإيجي: "أيْ: على وجوده وكمال قدرته ووحدته"[1].

فائدة تنكير لفظ ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

وفي تنكير لفظ (قوم) في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ مدحٌ وإطراء لهؤلاء المُتفكِّرين وتفخيمٌ لشأنهم، لكونهم يتفكَّرون دومًا، فبالتفكير والإدراك يتميز الإنسان.

فائدة مجيء لفظ ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

بيان أنّ الوصف سجيّة فيهم، وأنّه من مُكمّلات قوميّتهم

إقحام لفظ ﴿لِّقَوْمٍ﴾ قبل الوصف ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ بجعله صفةً له، فيه إيماءٌ إلى "أنَّ ذلك الوصف سجيَّةٌ فيهم، وأنَّه من مُكمِّلات قوميَّتهم، فإنَّ للقبائل والأمَم خصائصَ تُميِّزها وتُشتَهر بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التّوبة: 56]، فالمعنى أنَّ في ذلك ﴿لَآيَةً﴾ للَّذين سجيَّتُهم التَّفكُّر"[2]، والنَّظر في المآلات، طلبًا لإدراك الغايات.

سرُّ تذييل الآية بالتَّفكُّر:

إدراك مراحل الإنبات سبيله التّفكّر في عظمة الاستنبات

في جعل الفاصلة ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ ربطٌ بين ما ابتدأتْ به الآية ﴿يُنۢبِتُ﴾ والتّفكُّر؛ لأنَّ إدراك المراحلِ الَّتي تمرُّ بها الحبَّة حتَّى تنبت، أمرٌ لا يُدرك إلا بالتَّفكُّر، وليس كلُّ إنسانٍ يرى الإنبات بقادر على التَّفكُّر فيه، فإنَّ الإنبات لمّا كان أمرًا مُتكرِّرًا وعادةً مألوفة، لم يكن ليتأمَّله للوقوف على مراحله وأسرارِه وإدراكِ تجليّات القدرة فيه، سوى المُتفكِّرين المُتدبِّرين، وأمّا أصحابُ البصر دون النَّظر، فلا يشغلُهم أمرٌ كهذا.

(1) الإيجي، جامع البيان: 2/ 330.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 89.

نكتة التَّعبير بالمضارع في ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾:

استمرار التَّفكُّر وتجدُّده، يؤدِّي إلى إدراك فرائد المعاني

فائدة التَّعبير بالمضارع في ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ إفادة التَّجدُّد والاستمرار في ممارسة نعمة التَّفكير، ولِحَثِّ الَّذين يتفكَّرون على بذل الوسع في مداومة التَّفكُّر وتكراره؛ لأنَّ تكرار التَّفكّر وخصوصًا مع مَن هو كَلِفٌ به يساعد على الوصول إلى فرائد المعاني، فالخير كلُّ الخير في المداومة عليه، كما أنَّ فيه حضًّا لمَن أهملوا نعمةَ التَّفكُّر أن يتداركوا ما فاتهم من إهماله، كيْ يتعقَّلوا الأمور، ويُحصِّلوا غاياتِها وفوائدها، وفيه كذلك "تعريضٌ بالمُشركين الَّذين لم يهتدوا، بِما في ذلك من دلالةٍ على تفرُّد الله بالإلهيَّة؛ بأنَّهم قوم لا يتفكَّرون"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّخل والنَّخيل:

النَّخْلُ يُستعمل مُفردًا وجمعًا، والنَّخيل هو الجمع فحسب

النَّخْلُ معروف، وقد يُستعمَل في الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾ [القمر: 20]، وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقَّة: 7]، وقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ [ق: 10]، والنَّخيل هو الجمع[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ﴾، وقوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ﴾ [النَّحل: 67].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 115.
(2) الرَّاغب، المُفردات: (نخل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»